الشـــــباب فى أمريكا

حركته وتربيته وحياته السياسية

ومقارنته بالشباب فى أوروبا

بقلم ابراهيم ابراهيم يوسف

لا نستطيع أن نفهم النزعة الجديدة التى تملكت أفئدة أبناء الجيل الحديث فى الولايات المتحدة الأمريكية ، إلا اذا فهمنا قبل كل شىء الفوارق الرئيسية بين الحركة العامة للشباب فى أوروبا ومثيلتها فى أمريكا . وأول ما يلفت النظر عدم اهتمام الشباب الأمريكى اهتماماً جدياً بالروحانيات والاجتماعيات ، بينما نجد زملاءهم فى أوروبا على عكس ذلك . كذلك هم لا يعرفون التكالب على الدرس بنفس النهم الذى نجده عند الشباب الأوروبيين . والواقع أن أمريكا برغم مالها من تنوع فى الآداب لا تعرف حتى الساعة ما يسمى « بثورة الشباب » كتلك التى عرفتها لشباب الألمان مثلاً لنهاية القرن التاسع عشر وبدء القرن العشرين . وقد تكون التقاليد الاجتماعية التى توارثها الشباب الأمريكى عن سلفه والتى يرعاها كل الرعاية سبباً ، إذا ما أضيف إليها مركز الشباب الاقتصادى ، يحول بينه وبين تحمل عبء مسئوليات جسام . وركن الشباب إلى تلك التقاليد وراح يحافظ عليها فتجلت فى حياته السياسية ، ثم سرعان ما انتقلت العدوى بعد ذلك إلى كل ميدان من ميادين حياة الشباب . ورسخت هذه التقاليد فى النفوس بدلاً من أن يتم التعاون على مقاومتها لتتلاشى . فمثلاً بينما كان الشباب الألمانى منذ ثلاثين سنة يثور على سلطة العائلة وسلطة المدرسة ولا يأبه بسلطان الدولة ولا بسلطان الكنيسة ، كان الشباب الأمريكى ينزع فى نفس الوقت إلى انتهاج ما ثار عليه زميله الأوروبى ، وكان مما لابد منه أن تنبذ أمريكا آراء أوروبا وطرقها فى تربية النشء وتبحث لها عن أسس جديدة ، فاهتدت إلى جعل الدراسة العلمية فى المرتبة الثانية من منهج التعليم . وما هى إلا سنوات حتى استوثق رجال التربية والتعليم فى أمريكا من أن النظريات والعمليات التى سار عليها زملاؤهم فى أوروبا لم تعد صالحة للعالم الجديد ، فاستعاضوا عن « القوانين العامة » فى علم النفس بفكرة رعاية الشباب وتهذيبه عملياً . وهم يتبعون فى ذلك رأى زعيم التربية الحديثة فى أمريكا المستر جون ديوى الذى تعتبر آراؤه إنجيلاً للمربين الأمريكيين . وخلاصة آرائه : أن العلم والمعرفة يجب أن ينتزعا من الحياة ، وأن لا علم إلا إذا جاء عن طريق ممارسة العمل ومزاولة الأمور العملية . وهذه الأسس هى التى يعبر عنها « بطريق الشروع » القائمة فى علم النفس على « المحاولة والخطأ » . وقد يهزأ الأوربيون بهذه النظريات العملية ، وهذا النوع من التربية . ولكنهم يرون أن تربية النشء وفق هذه الأصول تكوّن عندهم قوة الارادة وصحة الحكم على الأشياء . ومن أهم المبادئ المعمول بها فى أمريكا لتربية النشء اعتبار الشباب وفرديته فى مرتبة لا تقل عن مقام المعلم وعلمه . وكثيراً ما ينعى علماء التربية الأمريكيون على زملائهم فى أوروبا التسرع فى الحكم بأن الطفل له شخصية أقل خطراً من شخصية الرجل المكتمل الرجولة . ولكن علماء التربية الأوروبيين يقولون هم الآخرون بأن الآراء الأمريكية تحوى جرثومة تهدد نظام التربية والتعليم من أساسه ، كما أن تلك الآراء تعمل على إضعاف مركز المربى فى نظر النشء وإضعاف الثقة به . ولكن الأمريكيين يقولون إن المسألة عكس ذلك تماماً . ثم إذا نظرنا إلى المدارس الأمريكية على اختلاف أنواعها ، ولاحظنا تباين الأعمار فى الفصول ، حكمنا بأن النظام كما يفهمه الأوروبيون ليس له أثر ملموس فى هذه المدارس . وكثيراً ما قال المربون الأوروبيون عند أول مشاهداتهم للشباب الأمريكى : « يالها من فوضى ! » إذ يجدون الطلبة هنالك يتوجهون بكلياتهم إلى شخص الأستاذ ، أما اهتمامهم بدرسه فأمر ثانوى لديهم . ولهذا نجد بين الأساتذة والطلبة علاقة ألفة قد تبدو أشبه بالصداقة التى يضيع معها كل نظام ، ولعل السر الذى يفسر لنا تلك الألفة هو أن ٩٠٪ من مجموع المعلمين فى المدارس الأولية والابتدائية والثانوية فى كافة البلاد الأمريكية نساء . ولا يعوق المعلمة عملها لو أن لها زوجاً وكانت فى مقتبل العمر . ثم هنالك ظاهرة غريبة أخرى قد لا نجد لها مثيلاً فى أى بلد أوروبى ، تلك هى اعتبار المدرسة والكلية مزرعة يتعهد فيها المدرسون بتربية الألفة والصداقة بين كل أفراد الشباب ، ولا زالت الكليات الأمريكية برغم ما وجه إليها من نقد محافظة كل المحافظة على حياة الأخوة بين الطلاب ، مانعة كل المنع تسرب دخلاء إلى

[البقية فى ذيل الصفحة التالية]